تنبت فجاة · انها محصلة تحولات طويلة · انها محصلة معاناة ما يسمى بعصر « النهضة » ·

ومعاناة عصر « النهضة » بالغة التعقيد · انها معاناة رفض وقبول · رفض الغزو الاجنبي ، والاندراج في سياق قبوله · فكما كان « الاحياء » رفضا للنموذج القادم دون تمييز تياراته ، ودون القدرة على قراءة مقدماته ، كان القبول قبولا للمنطق الاستعماري الغربي ومحاولة انتماء الى الغرب · وبين حدي الرفض والقبول ، اخضعت المنطقة العربية لغزو لم تشهد له مثيلا · والى بداية تجزئة وتفتيت ·

بانهيار النموذج « الدولة الاسلامية » بالشكل المفجع الذي انتهت اليه الدولة العثمانية ، عبر احتضار طويل ، وتأسيس داخلي ـ خارجي لعملية التفتت · وجدت الثقافة العربية نفسها امام المأزق · فانفتحت على مأزقها · وتحولاتها ، بهذا المعنى ، ليست مجرد انعكاس للانهيار ، بل هي ايضا محاولة للخروج منه ·

وليس صدفة ، ان يكون الشعر العربي هو ارضية هذا الصراع · وهو المكان الذي عبر بانفجاره وباشكاليته الجديدة ، عن المأزق والمعاناة ومحاولات الخروج · لذلك ، وانطلاقا من واقع الثقافة العربية ، لم يتدرج الشعر في الخروج الى « الحداثة » او الى القيم الجديدة · انفجر انفجارا · وليس مصادفة ان يكون انفجاره انقطاعيا ، وكأن لا علاقة لمراحله المختلفة بعضها ببعض · هناك خيط من الوحدة يمكن اكتشافه عبر مرحلة الشعر ، لكنه خيط من التطور الانقطاعي · وكأن الشعر هو المؤشر الاول والاساسي لواقع الثقافة العربية ·

على ارض الشعر خيضت اكثر الاشكال تجريبية ، وتمت اجرأ محاولات تغيير مفاهيم الثقافة العربية · الشعر ديوان العرب ، وداخل هذا الديوان تم الانفجار ، واخضعت اللغة العربية ، والقيم الشعرية العربية لمراجعة صارمة وبالغة الجرأة · لكن هذه المراجعة ، كانت تنطلق دائما من قناعتها بمسؤوليتها الثقافية · فرغم كل التطرف التجديدي ، احتفظ هذا الشعر بنبرة تراثية ، وكأنه يريد عبر ثورته اثبات هويته · فليس صدفة ان تأخذ اللغة الصوفية والرموز الصوفية هذا الحجم في الشعر المعاصر · فهي ، الى جانب ظواهر اخرى : الاسطورة ، الرمز التاريخي ، الرمز الواقعي ، تحمل في جانب منها محاولة تأكيد الذات لحظة الخروج من ماضيها ، محاولة اثبات الجدارة عبر انتماء الى وجود حضاري متميز ، في لحظة كسر عمود الشعر كسرا لا عودة اليه · فالشعر الحديث والمعاصر ، انطلاقا من جماعة الديوان وحتى الان ، ليس مجرد تأثر سلبي بالثقافة الغربية واستعارة لاشكالها · بل هو كذلك محاولة لصياغة لغة الثورة على الغرب · هكذا تتداخل لحظتا التفتت في الاخضاع الاستعماري ، والوحدة في النضال ضد هذا الاخضاع ·

هنا يبرز سؤال بالغ الدلالة ·

عندما نقرأ النتاج النظري لبدايات التحول الشعري ، نفاجأ بحقيقة تبدو غير منطقية : تقدم نظري ، يصل مع جماعة ابوللو الى حد القبول بالشعر المنثور · وتخلف تطبيقي ،